التحذير من اللواط وبيان أضراره

الحمد لله الذي أحل لعباده الطيبات، وحرم عليهم الفواحش والموبقات، شرع سبحانه العقوبات ردعاً للمفسدين وصلاحاً لخلقه أجمعين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد أرسل الله رسول محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، وبعثه متمماً لمكارم الأخلاق. فصار عليه الصلاة والسلام قدوة لأمته في فعل الخيرات، والابتعاد عن الشر والقبائح والشبهات، داعياً إلى الخلال الفاضلة والصفات الحميدة، ومحاسن الأقوال والأفعال، محذراً من الخصال الذميمة والأفعال السيئة.

وحرم سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه عليه الصلاة والسلام الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ ذلكم لما فيها من مضار دينية ودنيوية في الحال والمآل، في العاجل والآجل؛ إذ إنها ما حلت بديار إلا أهلكتها، ولا في أمة إلا أذلتها، ولا في قلوب إلا أعمتها، ولا في نفوس إلا أفسدتها، ولا

في أجساد إلا عذبتها ؛ إذ هي تزيل النعم عن الأوطان، وتذيقهم الذل والهوان، وتحل بهم النقم، وتمحق بركن الدين والدنيا. فضررها وخيم على الفرد والمجتمع، ولولا ذلك لم يحرمها الله سبحانه وتعالى.

ومن هذه الفواحش التي حرمها الإسلام تحريماً شديداً، وحذر منها، وتوعد فاعلها بالعذاب الشديد والعقاب الأليم في الدنيا والآخرة تلكم الجريمة المنكرة، والفاحشة الشنيعة، والكبيرة العظيمة الموبقة التي تنفر منها العقول النيرة، وتنكرها الطبائع السليمة، والشرائع السماوية، وتزجر عنها، وتحذر منها لعظيم ضررها، وشدة خطرها ؛ ألا وهي جريمة اللواط التي تنحدر بالإنسان إلى الفساد والتلف، وتورده موارد الهلاك والعطب، وتجعله أنزل رتبة من البهائم.

وأدلة تحريم اللواط كثيرة ؛ يقول سبحانه وتعالى : ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦٥ – ١٦٦] الآيات. ويقول سبحانه: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٠]، ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾ ...الآية [العنكبوت: ٢٩].

فقد ذكر سبحانه وتعالى قصة قوم لوط في غير آية من كتابه، وشدد فيها وغلّظ

أمره، فقال تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٠].

ثم أكد ذلك سبحانه بأن صرح بما تشمئز منه القلوب، وتنبو عنه الأسماع، وتنفر منه الطباع أشد نفرة وهو إتيان الرجل رجلاً مثله؛ فقال: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [الأعراف: ٨١] والإسراف هو مجاوزة الحد. وقال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

ثم أكد عليهم الذم بوصفين في غاية القبح فقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، وسماهم مفسدين في قول نبيهم عليه السلام: ﴿ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٠]، وسماهم ظالمين في قول الملائكة لإبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣١]، ولما جادل فيهم خليله إبراهيم عليه السلام قال له: ﴿ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ [هود: ٧٦] والآيات في ذلك معلومة.

فهذه الكبيرة العظمى، والفاحشة الشنعاء، ليس في المعاصي مفسدة أعظم من مفسدتها، وهي التي تلي مفسدة الكفر، ولم يبتل الله بهذه الكبيرة

قبل قوم لوط أحداً من العالمين ؛ فلهذا عاقبهم سبحانه بعقوبة لم يعاقب بها أمة غيرهم، وجمع عليهم أنواعاً من العقوبات ؛ من الإهلاك وقلب ديارهم، وخسفها بهم، ورجمهم بالحجارة من السماء، وطمس أعينهم، وعذبهم وجعل عذابهم مستمراً فنكل بهم نكالا لم ينكله أمة سواهم، وما ذاك إلا لعظم هذه الجريمة التي تكاد الأرض تميد من جوانبها إذا عملت عليها، وتهرب الملائكة إلى أقطار السماوات والأرض إلى ربها، وتكاد الجبال تزول عن أماكنها.

وقد وردت السنة بتحريم هذه الكبيرة والوعيد عليها ؛ يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الحاكم وغيره: «ملعون من عمل عمل قوم لوط، ملعون من عمل عمل قوم لوط، ملعون من عمل عمل قوم لوط». قالها ثلاثاً.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط». رواه ابن ماجة والترمذي وقال حديث حسن.

وحرم أغلب العلماء الخلوة بالأمرد في نحو بيت ودكان ونحو ذلك، وما ذاك إلا لخوف الوقوع في هذه الفاحشة العظمى ؛ لأن الوسائل والذرائع لها حكم الغايات.

وفي الحديث: «النظر سهم مسموم من سهام إبليس»، نعوذ بالله من أليم عقابه، ونسأله العافية من عذابه.

وقد أجمعت الأمة على تحريم هذه الفاحشة العظيمة وعقوبة فاعلها، ولما كانت من أعظم الجرائم وأبشعها كانت عقوبتها في الشرع من أعظم العقوبات، فعقوبته القتل والإعدام، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة والبيهقي؛ وعند الترمذي: «أحصنا أولم يحصنا».

واتفق جمهور الصحابة على العمل بمقتضى هذا الحديث؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لم يختلف أصحاب رسول الله ﷺ في قتله سواءً كان فاعلاً أو مفعولاً به». اهـ.

لكن اختلفوا في كيفية قتله فقال بعضهم: يرجم بالحجارة حتى يموت. وقال بعضهم: يلقى من أعلى مكان في البلد حتى يموت.

وروي عن الصديق رضي الله عنه وابن الزبير أن يحرق بالنار.

وقال ابن عباس يُرمى من شاهق في البلد منكساً ثم يتبع بالحجارة.

وعلى كل حال فالفاعل والمفعول به إذا كان راضيين كلاهما عقوبته الإعدام سواءً كانا محصنين أم غير محصنين لعظم جريمتهما، وضرر بقائهما في المجتمع؛ لأن بقاءهما قتل معنوي لمجتمعهما، وإعدام للخلق والفضيلة. ولا

شك أن إعدامهما خير من إعدام الخلق والفضيلة. والأدلة على قتل الفاعل والمفعول به كثيرة، منها ما تقدم، ومنها:

ما رواه البيهقي وغيره عن مفضل به فضالة، عن ابن جريج، عن عكرمة عن النبي ﷺ أنه قال: «اقتلوا الفاعل المفعول».

ولابن القيم رحمه الله في هذا الموضوع كلام قيم في كتابه الداء والدواء المسمى بالجواب الكافي، يقول فيه: «فإن في اللواط من المفاسد ما يفوت الحصر والتعداد، ولأن يقتل المفعول به خير له من أن يؤتى، فإنه يفسد فساداً لا يُرجى له بعده صلاح أبداً، ويذهب خيره كله، وتمص الأرض ماء الحياء من وجهه، فلا يستحيي بعد ذلك لا من الله ولا من خلقه، وتعمل في قلبه وروحه نطفة الفاعل ما يفعل السم في البدن...». اهـ.

فمضار هذه الفاحشة الكبرى والجريمة النكراء ومفسدة الدين والدنيا كثيرة، ففيها هدم للأخلاق، ومحق للرجولة، وفساد المجتمع، وقتل المعنويات، وذهاب الخير والبركات، وجلب للشرور والمصائب، فهي معول خراب ودمار، وسبب للذل والخزي والعار، فالعقول النيرة تنكرها، والفطر السليمة ترفضها وتنفر منها، والشرائع السماوية تزجر عنها وتحذر منها؛ ذلكم لأن اللواط ضرر عظيم، وظلم فاحش، فهو ظلم للفاعل بما جره على نفسه من الخزي والعار، وقادها إلى ما فيه الموت والدمار، وظلم

للمفعول به حيث هتك نفسه، وأهانها، ورضي لها بالسفول والانحطاط والمهانة، ومحق الرجولة؛ حتى صار بين الرجال كالمرأة، لا تزول ظلمة العار والذل عن وجهه حتى يموت، أو يرزقه الله توبة نصوحاً.

وفي هذه الجريمة الشنعاء – أيضاً – ظلم للمجتمع كله بما تفضي إليه من انحلال الأخلاق، وحلول المصائب والنكبات، والإبعاد عن الزواج – والعياذ بالله –.

ومن أضرار اللواط أيضاً: أنه نذير الرعب، وداعي الخيبة، ودليل السقوط والخسة والدناءة، وفقد الشهامة والنخوة. ودليل على قلة الحياء، ووجود الضعة في نفس اللائط. ويدعو إلى انتشار الأوبئة والأمراض الخبيثة القاتلة كالسل والصفرة. ولا أوخم من هذه المعصية الكبرى، فهي تجلب الشقاق، وتفصم عرى المحبة والمودة، وتسبب الخلاف، وتقطع الصحبة، وتنفر النفوس. ولا أعظم من أنها تجلب اللعنة من الله، وتنزع رحمته، وتحل غضبه، وشديد عقابه.

فعلى كل مسلم أن يصون نفسه، ويحفظها عن كل ما يخل بشرفها وكرامتها، ويبتعد عن وسائل الشر، ويحفظ أولاده عن جلساء السوء والأشرار؛ وأصحاب الأخلاق السيئة. وعليه أن يراقبهم مراقبة جيدة، وينهاهم عن الاستماع إلى الملاهي والأغاني والمجون، ومشاهدة المسلسلات

والتمثيليات، ومشاهدة الصور والمجلات الخليعة.

وعليه – أيضاً – أن يتمسك بالدين الإسلامي، ويأتمر بأوامره، وينتهي بنواهيه، ويعلم أن خالقه يراقبه، ويعلم ما يسر وما يعلن؛ فيخاف منه، ويعلم أنه سيحاسبه على ما قدم؛ فيبتعد عن الموبقات والقبائح والمنكرات والفواحش لينال ثواب الله وعطاءه، ويسلم من عقابه.

وفقنا الله وعباده المسلمين لمحاسن الأخلاق، وصالح الأعمال، وجنبنا وإياهم مساوئ الأخلاق، ومنكرات الأعمال، وهدانا صراطه المستقيم.

إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

